شرح الأربعين النووية

الحديث الحادي عشر

دَعْ مَا يَرِيْبُكَ

اللقاء الرابع عشر

الحديث الحادي عشر:

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بنِ عَلِيّ بنِ أَبِي طالبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتَ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ -ﷺ-: (دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيْبُكَ) رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ترجمة الراوي:

حِينَمَا يَكُونُ الْحَدِيثُ عَنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِنَّ الْحَدِيثَ يَطِيبُ، وَالْقُلُوبَ تَهْفُو، وَالْآذَانَ تُصْغِي، فَهُمْ شَامَةُ الْأُمَّةِ وَخَيْرُهَا، وَهُمْ صَفْوتُهَا وأَنْجُمُهَا، اصْطَفَاهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَاخْتَارَهُمْ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ.

نَقِفُ الْيَوْمَ مَعَ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ، وَالْقَائِدِ النَّاصِحِ، وَالْمُصْلِحِ الرَّبَّانِيِّ، هُوَ أَحَدُ سَادَاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسَيِّدُ شَبَابِ الْجَنَّةِ، حِبِّ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَرَيْحَانَتِهِ، وَأَشْبَهِ النَّاسِ بِدَلِّهِ وَخِلْقَتِهِ، سِيرَتُهُ مَلْأَى بِالْكَرَائِمِ وَالْمَعَالِي، وَالْإِيثَارِ وَالتَّفَانِي، وَالتَّعَالِي عَلَى حُظُوظِ النَّفْسِ وَشَهَوَاتِ الْمَنَاصِبِ.

هَا هُوَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَحُثُّ خُطَاهُ إِلَى بَيْتِ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ، بَعْدَ أَنْ سَمِعَ خَبَرَ وَضْعِهَا لِجَنِينِهَا الأَوَّلِ، فَلَمَّا رَآهَا وَرَآهُ عَلَا مُحيَّاهُ الْبِشْرُ، فَقَالَ: أَرُونِي ابْنِي، فَحَمَلَهُ وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي أُذُنَيْهِ، ثُمَّ سَأَلَهُمَا: مَا أَسْمَيْتُمُوهُ؟ قَالُوا: حَرْبًا، فَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَا، بَلْ هُوَ حَسَنٌ.

وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ عَقَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الْحَسَنِ كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، وَحَلَقَتْ فَاطِمَةُ شَعْرَ طِفْلِهَا، وَتَصَدَّقَتْ بِوَزْنِه ذَهَبًا.

عَاشَ هَذَا الطِّفْلُ وَتَرَعْرَعَ فِي بَيْتِ النُّبُوَّةِ الَّذِي قَالَ اللهُ عَنْهُ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)، وَامْتَلَأَ قَلْبُ الْمُصْطَفَى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَحَبَّةً وَرَحْمَةً بِهَذَا الْمَوْلُودِ الْجَدِيدِ، وَمَنَحَهُ مِنْ عَطْفِ الْأُبُوَّةِ وَحَنَانِهَا شَيْئًا كَبِيرًا، حَتَّى سَمَّاهُ: رَيْحَانَتَهُ.

مَضَتِ الْأَيَّامُ وَالسَّيِّدُ الْحَسَنُ تَكْبُرُ مَعَالِمُ جِسْمِهِ وَوَجْهِهِ، حَتَّى غَدَا شَبِيهًا بِجَدِّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَا تَسَلْ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ عِنَايَةِ الْجَدِّ بِهِ، وَلَا عَنْ دِفْءِ الْحَنَانِ الَّذِي يَلْقَاهُ الْحَسَنُ، فَكَانَ الْجَدُّ رَغْمَ أَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ، وَهَمِّ الرِّسَالَةِ وَالدَّعْوَةِ قَرِيبًا مِنَ الْحَسَنِ، وَرَفِيقَهُ الْمُفَضَّلَ، إِذَا رَأَتْ عَيْنَاهُ سَوَادَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- انْطَلَقَ إِلَيْهِ، يُمَازِحُهُ وَيُلَاعِبُهُ، وَيَتَسَلَّقُ صَدْرَهُ، وَيَرْتَحِلُ ظَهْرَهُ، وَنَبِيُّنَا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُقَابِلُ هَذَا الشَّوْقَ بِاللَّعِبِ مَعَهُ، وَتَقْبِيلِهِ، وَمُدَاعَبَتِهِ، حَتَّى عَرَفَ الصَّحَابَةُ شِدَّةَ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلْحَسَنِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ جَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ قَالُوا: رَأَيْنَا النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ.

بَلْ رُبَّمَا دَخَلَ الْحَسَنُ مَسْجِدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَامْتَطَى ظَهْرَ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ سَاجِدٌ، فَيُطِيلُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَذِهِ السَّجْدَةَ؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُعْجِلَهُ.

وربما صعد معه إلى المنبر، ففي سنن النسائي (عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ إِذْ أَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَام عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَنَزَلَ وَحَمَلَهُمَا فَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ رَأَيْتُ هَذَيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى نَزَلْتُ فَحَمَلْتُهُمَا).

يُحَدِّثُ أَبُو هُرَيْرَةَ بِمَشْهَدٍ رَآهُ فَيَقُولُ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ، حَتَّى وَصَلَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، ثُمَّ رَجَعَ، فَدَخَلَ بَيْتَ فَاطِمَةَ وَجَعَلَ يَقُولُ: أَثَمَّ لُكَعُ، أَثَمَّ لُكَعُ، -يَعْنِي: الْحَسَنَ-، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لِأَنْ تُغَسِّلَهُ وَتُلْبِسَهُ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى، حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَحْبِبْهُ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه".

يَكْفِي الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- شَرَفًا وَفَضْلًا قَوْلُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ".

وَقَبْلَ أَنْ يُفَارِقَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَذِهِ الدُّنْيَا بِلَحَظَاتٍ يَسِيرَاتٍ، لَمْ يَنْسَ أَنْ يُوَدِّعَ الْحَسَنَ وَأَخَاهُ الْحُسَيْنَ بِقُبُلَاتٍ حَارَّاتٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِهِمَا خَيْرًا.

✉تَأَلَّمَ الْحَسَنُ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– وَهُوَ فِي رَبِيعِهِ السَّابِعِ لِوَفَاةِ جَدِّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَحَزِنَ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا؛ فَقَدْ كَانَ الْجَدُّ فِي حَيَاتِهِ وَالِدًا رَحِيمًا، وَمُرَبِّيًا عَظِيمًا.

✉وَلَمْ يَمْضِ مِنَ الْأَيَّامِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ إِلَّا وَالْأَحْزَانُ تَتَجَدَّدُ فِي قَلْبِ ذَلِكَ الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ، حِينَمَا فُجِعَ بِوَفَاةِ أُمِّهِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْجَنَّةِ.

✉ الْعِبَادَةُ وَالزُّهْدُ، وَالتَّقَلُّلُ مِنَ الدُّنْيَا، وَالِانْقِطَاعُ لِعَمَلِ الْآخِرَةِ، صِفَاتٌ تَسَامَتْ فِي شَخْصِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَكَانَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَوَّامًا بِاللَّيْلِ، صَوَّامًا بِالنَّهَارِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْحَجِّ، ذُكِرَ أَنَّهُ حَجَّ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ مَرَّةً.

✉وَمِنْ مَلَامِحِ شَخْصِيَّةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّهُ كَانَ كَرِيمًا جَوَادًا، شَهْمًا مِعْطَاءً، يَحْمِلُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ رُوحًا بَاذِلَةً، وَنَفْسًا مُتَوَاضِعَةً، يُجَالِسُ الْمَسَاكِينَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ، لَا يَرُدُّ طَالِبًا، وَلَا يَنْهَرُ سَائِلًا، وَلَا يُخَيِّبُ مَنْ قَصَدَهُ مُحْتَاجًا.

✉وَمِنْ صِفَاتِ الْحَسَنِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قَلِيلُ الْكَلَامِ إِلَّا فِيمَا يَنْفَعُ، لَكِنَّهُ إِذَا تَحَدَّثَ أَبْهَرَ السَّامِعِينَ، كَانَ خَطِيبًا وَمُتَحَدِّثًا بَلِيغًا فَصِيحًا، كَيْفَ لَا وَقَدْ تَرَبَّى فِي أَفْصَحِ الْبُيُوتِ، وَوَالِدُهُ مَنْ قَدْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ شَيْئًا كَثِيرًا.

✉وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ يُقْتَلُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِغَدْرَةٍ مِنَ الشَّقِيِّ ابْنِ مُلْجَمٍ الْخَارِجِيِّ.

✉وَيُبَايِعُ الْمُسْلِمُونَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ، وَتَمَّتِ الْبَيْعَةُ لَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ سِوَى الشَّامِ، وَقَدْ قَرَّرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ كَالْقَاضِي عِيَاضٍ وَابْنِ كَثِيرٍ أَنَّ خِلَافَةَ الْحَسَنِ تَدْخُلُ فِي الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ الَّتِي أَثْنَى عَلَيْهَا النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِقَوْلِهِ: "الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا".

✉وَمَضَتْ سِتَّةُ أَشْهُرٍ مِنْ خِلَافَةِ الْحَسَنِ وَهُوَ يَسِيرُ بِالْأُمَّةِ سِيرَةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْمُسْلِمُونَ لَهُ سَامِعِينَ طَائِعِينَ، فَرَأَى الْحَسَنُ أَنَّ أَمْرَ الْأُمَّةِ فِي فِتَنٍ وَدِمَاءٍ وَاخْتِلَافٍ طِيلَةَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ مِنْ بَعْدِ قَتْلِ عُثْمَانَ، وَرَأَى أَنَّ حَالَ الْأُمَّةِ لَا يَسْتَقِيمُ مَعَ هَذِهِ الْفُرْقَةِ، فَتَنَازَلَ بِالْخِلَافَةِ لِمُعَاوِيَةَ أَمِيرِ الشَّامِ، وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْعَامُ بِعَامِ الْجَمَاعَةِ؛ لِاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ طُولِ خِلَافٍ، لِيُسَجِّلَ التَّارِيخُ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– هُوَ أَوَّلُ رَجُلٍ يَتَنَازَلُ عَنِ الْإِمَارَةِ الَّتِي تُنْزَعُ مِنْ أَهْلِهَا نَزْعًا (وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ).

✉لَمْ يَتَنَازَلِ الْحَسَنُ لِأَجْلِ مُعَارَضَةٍ، وَلَا مِنْ قِلَّةِ خِبْرَةٍ أَوْ ضَعْفٍ وَعَجْزٍ، وَإِنَّمَا تَنَازَلَ عَنِ الْخِلَافَةِ وَهُوَ فِي كَامِلِ قُوَاهُ، وَكَانَتْ جَمِيعُ الْأَمْصَارِ تُحِبُّهُ وَتُرِيدُهُ، تَنَازَلَ عَنْ هَذَا الْمَنْصِبِ مِنْ أَجْلِ الْحِفَاظِ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمُ الَّتِي تُرَاقُ.

وَوَقَعَ مِصْدَاقُ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الْحَسَنِ: "ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

✉مات -رضي الله عنه- مسموماً سنة خمسين للهجرة، ولا يعلم على وجه اليقين من سمه، ولا يصح فيه خبر، وكل الروايات التي تفيد تعيين قاتله فتتهم معاوية تارة ويزيد تارة أخرى وزوجته جعدة بنت الأشعث وغير ذلك، كلها لا تصح، مدارها على مجهولين أو كذابين، والذي ثبت رواية عمير بن إسحاق قال: "دخلت على الحسن وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه، وقال: يا أخي، من تتهم؟ قال: لم؟ لتقتله؟ قال: نعم، قال: إن يكن الذي أظن فَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا، وإلا يكنه فما أحب أن يقتل بي بريء"، ثم قضى، رضوان الله تعالى عليه، ثم دفن بالبقيع إلى جنب أمه -رضي الله عنهما-.

🖋منزلة الحديث:

📄هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين، وأصل في الورع الذي عليه مدار اليقين، وراحة من ظلم الشكوك والأوهام المانعة لنور اليقين [فيض القدير].

📄هذا الحديث من جوامع الكلم، ومن الحِكم النبوية البليغة؛ فهو بكلماته القليلة قعَّد قاعدة عظيمة في ديننا الإسلامي، وهي ترك الشبهات، والتزام الحلال المتيقن[الوافي في شرح الأربعين النووية].

📄قال العسكري – رحمه الله –: لو تأمَّل الحذَّاق هذا الحديث، لتيقَّنوا أنه استوعب كل ما قيل في تجنب الشبهات [الجواهر اللؤلؤية شرح الأربعين النووية].

🖋الشرح:

📧الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما سبط النبي -ﷺ-، والسبط: هو ابن البنت، وابن الابن يسمى: حفيداً، وقد وصفه النبي -ﷺ- بأنه سيد فقال: (إِنَّ ابْنِي هذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِيْنَ) وكان الأمر كذلك، فإنه بعد أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبويع بالخلافة للحسن تنازل عنها لمعاوية رضي الله عنه، فأصلح الله بهذا التنازل بين أصحاب معاوية وأصحاب علي رضي الله عنهما، وحصل بذلك خير كثير.

❁وأما قوله: وَرَيحَانَتهُ: الريحانة هي تلك الزهرة الطيبة الرائحة، وقد وصف النبي –ﷺ– الحسن والحسين بأنهما ريحانتاه.

"حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ أي: من كلامه.

❁وقوله: "دَعْ" أي اترك "مَا يرِيْبُكَ" أي ما يلحقك به ريب وشك وقلق إِلَى "مَا لاَ يَرِيْبُكَ" أي إلى شيءٍ لا يلحقك به ريبٌ ولا قلق.

📁أي: دع ما يشك فيه إلى ما لا يشك فيه، والمراد أن ما اشتبه حاله على الإنسان فتردَّد بين كونه حلالًا أو حرامًا، فاللائق بحاله تركُه، والذهابُ إلى ما يعلم حاله ويعرف أنه حلال، سواء أكان في أمور الدنيا أم في أمور الآخرة، فالأحسن أن ترتاح منه، وأن تدعه؛ حتى لا يكون في نفسك قلق واضطراب فيما فعلتَ وأتيتَ.

✉وهذا الحديث من جوامع الكلم وما أجوده وأنفعه للعبد إذا سار عليه، فالعبد يرد عليه شكوك في أشياء كثيرة، فنقول: دع الشك إلى ما لاشكّ فيه حتى تستريح وتسلم، فكل شيء يلحقك به شكّ وقلق وريب اتركه إلى أمر لا يلحقك به ريب، وهذا ما لم يصل إلى حد الوسواس، فإن وصل إلى حد الوسواس فلا تلتفت له.

✉وهذا يكون في العبادات، ويكون في المعاملات، ويكون في النكاح، ويكون في كل أبواب العلم.

وفي رواية "دع ما يَريبكَ إلى ما لا يَريبُكَ، فإنَّ الصِّدقَ طُمأنينةٌ وإنَّ الكذبَ رِيبةٌ". صحيح الترمذي

✉إن الصدق دليل الإيمان ولباسه، ولبُّه وروحه، كما أن الكذب بريد الكفر ونَبْتُه وروحه، والسعادة دائرة مع الصدق والتصديق، والشقاوة، دائرة مع الكذب والتكذيب، فخلق الصدق من أعظم مقومات الدين والدنيا، فلا تصلح دنيا، ولا يقوم دين إلا بالصدق.

✉الصِّدْقُ أُسُّ الفَضَائِلِ ورَأسُ الأَخلاَقِ، مَنْ تَخَلَّقَ بِهِ تَحَلَّى بِكُلِّ فَضِيلَةٍ، وخَلّصَ نَفْسَهُ مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ، فَكَمَا لاَ يَجْتَمِعُ ضَلالٌ مَعَ هُدَى، وظَلاَمٌ مَعَ نُورٍ؛ لاَ يَجْتَمِعُ صِدْقٌ مَعَ بَاطِلٍ وكذبٍ وزُورٍ؛ فَالصِّدْقُ نُورٌ وهِدَايَةٌ، يَأْخُذُ بِصَاحِبِهِ إِلى أَنبَلِ غَايَةٍ وأَسعَدِ نِهَايَةٍ.

✉فِي رِيَاضِ الصِّدْقِ ورِحَابِهِ لاَ يُهضَمُ حَقٌ ولاَ يَضِيعُ عَلَى أَصْحَابِهِ، وحُقَّ لِلصِّدْقِ أَنْ يَتَبَوَأَ المَكَانَةَ الرَّفِيعَةَ، والمَنزِلَةَ المَنِيعَةَ، كَيْفَ لاَ؟ واللهُ وصَفَ بِالصِّدْقِ قَولَهُ وحَدِيثَهُ، فَقَال تَعَالى:(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً) [النساء:122]، وقَالَ:(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً) [النساء:87]، كَمَا أَمَرَ رَسُولَهُ –صلى الله عليه وسلم– أَنْ يُعلِنَ ذَلِكَ لِتَبْقَى هَذِهِ حَقِيقَةً، واضِحَةَ المَحَجَّةِ بَيِّنَةَ الطَّرِيقَةِ؛ فَقَالَ تَعَالى:(قُلْ صَدَقَ اللَّهُ)[ال عمران:95]، كَمَا وَصَفَ اللهُ تَعَالى رُسُلَهُ وأَنبِيَاءَه بِالصِّدْقِ، رَغْمَ أَنَّهُمْ فِي جَمِيعِ الأَخلاَقِ الزَّاكِيَةِ قِمَّةٌ، وفِي كُلِّ الصِّفَاتِ الرَّاقِيَةِ مَنَارَةٌ، غَيْرَ أَنَّ مِنْ أَظْهَرِ مَا تَمَيَّزُوا بِهِ صِفَةَ الصِّدْقِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالى فِي شَأْنِ إبرَاهِيمَ –عَلَيهِ السَّلاَمُ–:(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً) [مريم:41]، ويَقُولُ فِي شَأْنِ إسمَاعِيلَ –عَلَيهِ السَّلاَمُ–:(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً) [مريم:54] ، ويَقُولُ فِي شَأْنِ إدرِيسَ –عَلَيهِ السَّلاَمُ–: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً)[مريم:56] ، وقَدِ اشتَهَرَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ –صلى الله عليه وسلم– بِأَفْضَلِ الأَخلاَقِ وأَزْكَاها، وعُرِفَ بِأَنْبَلِ الصِّفَاتِ وأَرقَاهَا، وبَلَغَ فِي كُلِّ صِفَةٍ حَسَنَةٍ مَدَاها وغَايَتَها ومُنتَهاها، بَيْدَ أَنَّ صِفَتَي الصِّدْقِ والأَمَانَةِ كَانَتَا عَلَماً عَلَيه، فَهُوَ بَيْنَ الأَصدِقَاءِ والأَعدَاءِ بِالصِّدْقِ مَوصُوفٌ، وبِالصَّادِقِ الأَمِينِ مَشْهُورٌ ومَعْرُوفٌ.

✉بِالصِّدْقِ فِي الأَقوَالِ والأَفعَالِ والنِيَّاتِ والمَقَاصِدِ والاتِجَاهَاتِ يَضَعُ المَرءُ الدَّلِيلَ والبُرْهَانَ عَلَى صِدْقِ الإيمَانِ، يَقُولُ الرَّسُولُ –ﷺ–:(يُطبَعُ المُؤمِنُ عَلَى الخِلاَلِ كُلِّها إِلاَّ الخِيَانَةَ والكَذِبَ) [أخرجه أحمد في مسنده]، قَدْ يَخَافُ المُؤمِنُ عَلَى نَفْسِهِ فيَجْبُنُ، ويَحْرِصُ عَلَى مَالِه فَيَبْخَل، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ عُذْرَ لَهُ البَتَّةَ فِي كَذِبٍ يَقْلِبُ بِهِ الحَقِيقَةَ؛ فَيَتَنَكَّبُ بِسَبَبِهِ سَواءَ الطَّرِيقَةِ.

✉وقَدْ حَفَلَتْ آيَاتُ القُرآنِ الكَرِيمِ بِالدَّعوَةِ إِلى الصِّدْقِ والحَثِّ عَلَيه، فَقَرَنَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بِالتَّقوَى فَقَالَ:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة:119]،وقَالَ:(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [الزمر:33]، ووصَفَ اللهُ بِالصِّدْقِ أَهْلَ البِرِّ فِي الآيَةِ التِي بَيَّنَتْ صِفَاتِهُم الرَّاقِيَةَ العَظِيمَةَ، فَقَدْ قَالَ تَعَالى بَعْدَ ذِكْرِ جَمِيعِ سِمَاتِهم:(أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [سورة البقرة:177]، كَمَا وصَفَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالى المُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ والمُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ بِجُمْلَةِ صِفَاتٍ مِنْهَا الصِّدْقُ فَقَالَ:(وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ)[الأحزاب:35] ثُمَّ بَيَّنَ جَزَاءَهُم عِنْدَ رَبِّهم فَقَالَ:(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)[الأحزاب:35].

✉إِنَّ لِلصِّدْقِ فِي الأَقوَالِ والأَفعَالِ الدَّورَ الرَّائِدَ الفَعَّالَ فِي إِسعَادِ الإِنسَانِ ورَاحَتِهِ، وهُدُوئِهِ وطُمَأنِينَتِهِ، يَقُولُ الرَّسُولُ –ﷺ–:" دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلى مَا لاَ يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأنِينَةٌ والكَذِبَ رِيبَةٌ".

✉إنَّ الذِي يَلْزَمُ الصِّدْقَ ويَتَحَرَّاهُ يَسْعَدُ فِي دُنيَاهُ ويَنْجُو فِي أُخْرَاهُ، يَقُولُ الرَّسُولُ -ﷺ-: "عَلَيكُم بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلى البِرِّ، وإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلى الجَنَّةِ"صحيح البخاري، وبَيَّنَ الرَّسُولُ -ﷺ-طَرِيقةً لِتَرْبِيَةِ خُلُقِ الصِّدْقِ وتَكْوِينِهِ؛ حَتَّى يُصْبِحَ طَبِيعةً لاَ تَتَخَلَّفُ عَنْ صَاحِبِها فِي أَيِّ مَجَالٍ، وعَلَى أَيِّ حَالٍ، وعَادَةً تَسْمُو بِهِ إِلى ذُرا المَجْدِ والكَمَالِ، فَقَالَ الرَّسُولُ -ﷺ-: ((مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكتَبُ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقا))، إِنَّ الصَّدْقَ مَنْبَتُ الفَضَائِلِ، وجِذْعُ شَجَرَتِها ومُتَفَرِّعُ غُصُونِها، وهَلِ الإِيمَانُ بِاللهِ والتَّصْدِيقُ بِرُسُلِهِ ووحْيِهِ إِلاَّ شُعْبَةٌ مِنَ الصِّدْقِ؟ فَالمُؤمِنُ الحَقُّ هُوَ مَنْ يَجْعَلُ الصِّدْقَ رَفِيقَهُ، ومَنْهَجَهُ وطَرِيقَهُ، فَهُوَ إِنْ عَامَلَ النَّاسَ صَدَقَ فَلاَ غِشَّ ولا تَزْوِيرَ، ولاَ خِدَاعَ ولاَ تَغْرِيرَ، فَإِنَّ مِمَّا يُحقِّقُ السَّعَادَةَ والرَّاحَةَ الصِّدْقَ فِي التَّعَامُلِ والوَضُوحَ والصَّرَاحَةَ، والتَّحلِّيَ بِخُلُقِ السَّمَاحَةِ، والمُؤمِنُ إِنْ حَدَّثَ النَّاسَ لاَ يُحدِّثُهم إِلا بِالصِّدْقِ، ولاَ يُخْبِرُهُم إِلاَّ بِالوَاقِعِ، لأَنَّهُ إِنْ حَدَّثَهُم كَاذِباً لَهُم فَقَدْ خَانَهُم، فَضَمَّ إِلى صِفَةِ الكَذِبِ صِفَةَ الخِيَانَةِ، وبِذَلِكَ تَتَضَاعَفُ آثَامُهُ، ويَزْدَادُ إِجْرَامُهُ، قال-ﷺ-: "وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلى الفُجُورِ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلى النَّارِ، وما يَزالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الكَذِبَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا" صحيح مسلم، "كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثاً هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ وأَنتَ لَهُ كَاذِبٌ"، ومَنْ كَذَبَ إِخوَانَهُ وخَانَ رِفَاقَهُ، فَقَدْ أَعلَنَ بِذَلِكَ نِفَاقَهُ، يَقُولُ الرَّسُولُ -ﷺ-: " آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وعَدَ أَخلَفَ، وإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ"صحيح البخاري.

✉ إِنَّ الذِي يَجْعَلُ الحَقَّ مَرْجِعَهُ والصِّدْقَ مَنْزِعَهُ قَوِيٌّ لاَ يَضْعُفُ، وعَزِيزٌ لاَ يَذِلُّ، إِذِ الحَقُّ أَقوَى مُعِينٍ، والصِّدْقُ أَفضَلُ قَرِينٍ، وقَدْ قِيلَ: ((الصَّدْقُ مُنْجِيكَ وإِنْ خِفْتَهُ، والكَذِبُ مُرْدِيكَ وإِنْ أَمِنْتَهُ))، يجب أن نتقي الله، ونلتزم الصِّدْقَ فِي كُلِّ أَحوَالِنا، فَإِنَّ العَقْلَ يَدْعُو إِليهِ والشَّرْعَ يَحُثُّ عَلَيه.

✉إِذَا كَانَ الصِّدْقُ أُسَّ الفَضَائِلِ فَإِنَّ الكَذِبَ أُسُّ الرَذَائِلِ، وكَمَا حَفَلَتْ آيَاتُ القُرآنِ الكَرِيمِ بِالحَثِّ عَلَى الصِّدْقِ فَقَدْ حَفَلَتْ أَيضاً بِالتَّنفِيرِ مِنَ الكَذِبِ وإِعلاَنِ قُبْحِهِ، ويَكْفِي لِلدَّلاَلَةِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَوجَلَّ وصَفَ بِهِ الكَافِرِينَ فَقَالَ:(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ)[النحل:105] ، كَمَا وصَفَ بِهِ المُنَافِقِينَ فَقَالَ:(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)[سورة البقرة:10] ، وبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الكَاذِبَ ضَالٌ لاَ يَصِلُ إِلى غَايَةٍ، ولاَ يَنالُ مِنَ اللهِ هِدَايَةً؛ فَقَالَ:(إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)[الزمر:3]، وقال:(إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)[غافر:28].

✉لِكَي يَقْطَعَ الإِسلاَمُ الطَّرِيقَ عَلَى الكَذِبِ نَهَى الإِنسَانَ عَنِ الإِفرَاطِ فِي الحَدِيثِ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ وأَمَرَهُ بِالتَّثَبُّتِ مِنَ الأَخبَارِ قَبْلَ نَقْلِها والتَّحدُّثِ بِها، يَقُولُ الرَّسُولِ-ﷺ-: "كَفَى بِالمَرءِ إِثماً أَنْ يُحدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"صحيح مسلم، ولَمَّا كَانَ الكَذِبُ صِفَةً تَجْلِبُ لِصَاحِبِها المَقْتَ والمَهَانَةَ؛ حَثَّ الإِسلاَمُ

الإنسَانَ عَلَى أَنْ يُطَهِّرَ مِنْهُ لِسَانَهُ، وقَدْ قِيلَ: ((الصَّادِقُ مَصُونٌ جَلِيلٌ، والكَاذِبُ مُهَانٌ ذَلِيلٌ))، وروي عَنْ عُمَرَ –رِضِى اللهُ عَنْهُ– قَولُهَ: ((لأَنْ يَضَعَني الصِّدْقُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْفَعَني الكَذِبُ ولَنْ يَرفَعَ))، ومِنْ أَشْنَعِ الكَذِبِ أَنْ يُلبِسَ الإِنسَانُ نَفْسَهُ صِفةً لَيسَتْ لَهُ، فَمِثْلُ هَذَا كَذَبَ عَلَى نَفْسِهِ فَأعطَاها مَا لَيسَ لَها، وكَذَبَ عَلَى النَّاسِ فَظَهَرَ أَمَامَهم عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ، إِنَّ الإِنسانَ الذِي يَعْرِفُ قَدْرَ نَفْسِهِ لاَ يُعْطِيها أَكثَرَ مِمَّا لَها، بَلْ إِنَّهُ يَتَواضَعُ فَيَظْهرُ بِالمَظْهَرِ الأَدنى وإن كان قدرهُ أعلى.

✉ومعنى أن الصدق طمأنينة أي أن الإنسان إذا كان صادقاً فإنه يكون مطمئن القلب، وأما إذا كانت أموره مبنية على الكذب له حال مختلفة بين الظاهر والباطن، فإنه يبقى قلقاً، وقد ينكشف في أي لحظة، وقد يظهر كذبه في المجلس الواحد من فلتات لسانه، يعني: يصدر منه ما ينقض قوله الذي قاله كاذباً فيفتضح، فإذا كذب الإنسان يبقى في نفسه شيء من عدم الارتياح والسكون وما إلى ذلك فيبقى قلقاً، وهذا مشاهد في الناس، الناس الذين يُسألون عن أمور ولا يصدقون فيها الواحد منهم لربما لم يبت تلك الليلة، فإن قال ما عنده من الصدق اطمأن واستراح.

✉والكذب ريبة، ومعنى أن الكذب ريبة أي أنه أمر مقلق، أمر مقلق لا تستريح معه النفس، ولهذا فإن من أراد طمأنينة النفس وراحة البال فليلزم الصدق في كل أموره، أما الذي يعيشون على الكذب والغش والتدليس في تجارتهم، في أعمالهم، في معاملاتهم، في كلامهم مع الناس فإن هؤلاء يبقون في حياة ليست مستقرة، تبقى حياتهم دائماً قلقة، وهذا القلق إذا دام واستمر وطال بالإنسان فإنه لربما أورث الإنسان عللاً مستديمة من الكآبة والضيق، وهذا حال كثير من الناس اليوم مع ما هم فيه من أسباب الراحة وما حصلوه من الأموال إلا أن ذلك لم يغنِ عنهم شيئاً، والمقصود أن الإنسان يترك ما يشك في حِلّه إلى ما لا يشك فيه، ومن ثم يكون قرير العين.

✉فالمسلم الورع يضطرب قلبُهُ عند الأمور المحرمة، ويسكن للحلال، ويدعُ الصغيرة مخافة الكبيرة.

✉ولا شك أن الله –تعالى– ما ترك حلالاً إلا بيّنه، ولا حراماً إلا بيَّنه، عن طريق رسوله –صلى الله عليه وسلم–، لكن بعضه يشتبه على كثير من الناس، أما العلماء الراسخون في العلم فلا يخفى عليهم؛ لما أعطاهم الله من العلم والحكمة.

وعن النواس بن سمعان –رضي الله عنه– عن النبي –ﷺ–قال: "البرُّ حُسنُ الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس" رواه مسلم.

وعن وابصة بن مَعبدٍ قال: أتيت رسول الله –ﷺ– فقال: "جئت تسأل عن البرِّ والإثم؟"، قلت: نعم، قال: "استفتِ قَلْبَكَ، البرُّ ما اطمأنت إليه النفسُ واطمأنَّ إليه القلبُ، والإثم ما حاك في النفسِ وتردَّد في الصدر، وإن أفتاك الناسُ وأفتوكَ" رواه أحمد وحسنه النووي.

✉والبرُّ يشمل جميع الطاعات، والدين كلُّه خلق حسن، وقد فطر الله –تعالى– عباده على معرفة الحق والسكون إليه، والنفور عن الباطل، والحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن، بل يعرف الحق بالنور الذي عليه، وينفر عن الباطل فينكره ولا يعرفه، ومن هذا المعنى قول النبي –ﷺ–: " سَيَكونُ في آخِرِ أُمَّتي أُناسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ ما لَمْ تَسْمَعُوا أنتُمْ ولا آباؤُكُمْ، فإيَّاكُمْ وإيَّاهُمْ.!" رواه مسلم، يعني أنهم يأتون بما تستنكره قلوب المؤمنين ولا تعرفه.

✉وفيه إشارةٌ إلى أن ما استقرت معرفته عند المؤمنين مع تقادم العهد وتطاول الزمان فهو الحق، وأن ما أحدث بعد ذلك مما يستنكره المؤمنون فلا خير فيه؛ ولهذا قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: " ما رآهُ المسلِمونَ حسنًا فَهوَ عندَ اللَّهِ حسنٌ وما رآهُ المسلِمونَ قبيحًا فَهوَ عندَ اللَّهِ قبيحٌ" رواه أحمد والبغوي والبزار والطبراني وصححه الحاكم.

☜فمن ثمرات الصدق:

❶البركة في الكسب، وزيادة الخير يَقُولُ الرَّسُولُ –ﷺ–:" البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وبَيَّنَا بُورِكَ لَهُما فِي بَيْعِهِمَا، وإِنْ كَذَبَا وكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِما"صحيح البخاري

❷ راحة الضمير، وطمأنينة النفس، "فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ ".

❸ النجاة من المكروه، وتفريج الكربات، وإجابة الدعوات، والنجاة من المُهلِكات، كما يدل على ذلك قصة أصحاب الغار التي أخرجها البخاري ومسلم (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ " بَيْنَمَا ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ، فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلاَءِ لاَ يُنْجِيكُمْ إِلاَّ الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ"، فدعا كل واحد منهم ربَّه بما عمِله من عمل صدَق فيه لله، وأخلص له فيه، فكان الفرج، ففرج الله لهم فرجة بعد أخرى، حتى خرجوا من تلك المحنة.

❹ حسن العاقبة لأهله في الدنيا والآخرة، لقوله –ﷺ–:"إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ" رواه البخاري

❺ومن ثمرات الصدق: مراقبة الله سبحانه وتعالى، لقوله -ﷺ-: "وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ" رواه مسلم

❻ الثناء على صاحبه في الملأ الأعلى، لقوله -ﷺ-: "حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا". رواه مسلم

❼ الثناء على أهله في الدنيا، لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: 119].

❽ ومن ثمرات الصدق: عِظَم القَدْر، وعُلُو المنزلة في المجتمع، فالذي يتحلى بالصدق يَعْظُم قَدْرُهُ، وتعلو منزلته بين الناس؛ لاعتقادهم أنه ما فعل ذلك إلا عن حسن سيرة، ونقاء سريرة، وكمال عقل.

❾ ظهور الصدق على وجه صاحبه: "فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ قَالَ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ" رواه الترمذي

❿ومن ثمرات الصدق: تيسير أسباب الهداية للحق، كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت: 69]، قال الطبري: (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) أي: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام، الذي بعث الله به محمدًا -ﷺ-.

❶❶ومن ثمرات الصدق: دوامُ الصلة بالله سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع بطلب الثبات على الإيمان، لقوله -ﷺ-: (إنَّ الإيمانَ لَيخلَقُ في جَوفِ أحدكم كما يَخلقُ الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يُجدد الإيمانَ في قلوبكم) رواه الحاكم وصححه الألباني

❶❷ ومن ثمرات الصدق: الالتزام بالعهد، كقوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) [الأحزاب: 23]

❶❸ومن ثمرات الصدق : التوفيق لكل خير، كما يدل عليه قصة كعب بن مالك في تخلُّفه عن تبوك، كما في البخاري ومسلم، في حديث طويل ، فيقول كعب لرسول الله -ﷺ-: (... وَلَكِنِّى وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّى لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَىَّ ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَىَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ ، لاَ وَاللَّهِ مَا كَانَ لِى مِنْ عُذْرٍ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّى حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «أَمَّا هَذَا فَقَدْ

صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِىَ اللَّهُ فِيكَ» فلما صدق مع الله ومع رسوله، تاب الله عليه، وأنزل فيه وفي صاحبيه آيات تتلى إلى قيام الساعة.

❹❶من ثمرات الصدق: حسن العاقبة لأهله في الدنيا والآخرة؛ قال -ﷺ-: (إن الصدق يَهدِي إلى البرِّ، وإن البر يَهدِي إلى الجنة) [رواه البخاري ومسلم].

❺❶ومن ثمرات الصدق: أن الصادق يُرزَق صدق الفراسة، فمَن صدقت لهجته، ظهرت حجته، وهذا من سنة الجزاء من جنس العمل؛ فإن الله يثبِّت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، فيُلهِم الصادق حجَّته، ويسدد منطقه، حتى إنه لا يكاد ينطق بشيء يظنه إلا جاء على ما ظنه، كما قال عامر العدواني: "إني وجدت صدق الحديث طرفًا من الغيب، فاصدقوا ".

❻❶ومن ثمرات الصدق : التوفيق لحسن الخاتمة : لما ثبت في الحديث الذي أخرجه النسائي وغيره عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ : (أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ-فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ثُمَّ قَالَ أُهَاجِرُ مَعَكَ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ -ﷺ- بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ -ﷺ- سَبْيًا فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ -ﷺ- فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ قَسَمْتُهُ لَكَ قَالَ مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ إِنْ تَصْدُقْ اللَّهَ يَصْدُقْكَ فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ -ﷺ- يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-أَهُوَ هُوَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ -ﷺ-فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ -ﷺ- ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ)

ومن ثمرات الصدق وفوائده في الدار الآخرة:

أولاً: الحصول على المغفرة ونيل الأجر العظيم: فالالتزام بالصدق من موجبات المغفرة من الذنوب والمعاصي، وقد رتب سبحانه وتعالى عليه الجزاء الأوفى والأجر العظيم، قال عزّ وجلّ (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) [الأحزاب: 34]

ثانياً: النجاة من النار والفوز بالجنة: قال الله سبحانه وتعالى :(هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [المائدة: 119]

فالصادق يجازى بالجنة ويفوز بالخلود فيه، ويظفر علاوة على ذلك بالرضوان من الله تعالى، وفي الصحيحين :(عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ «إِنَّ أَهْلَ

الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ، كما يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أوِ المَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ ما بيْنَهُمْ. قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، تِلكَ مَنَازِلُ الأنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قالَ: بَلَى، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا باللَّهِ وصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ»

ويؤكده قوله –ﷺ– كما في مسند أحمد: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»

ثالثاً: نيل مرتبة الصديقية: والتي عرّفها ابن القيم في كتابه مدارج السالكين حيث قال :" أعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول مع كمال الإخلاص للمرسِل " فلا تقف ثمار الصدق عند دخول صاحبه الجنة وفوزه بنعيمها، بل تستمر هذه الثمار العظيمة حتى يرفع الله الصادق إلى العلياء من درجات الجنة، ذلك أن الصدق إذا صار سجية للمؤمن وصل به إلى مرتبة الصديقية.

كما جاء في الحديث الصحيح: (وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا)، ويقول ابن القيم معلقاً على الحديث:" فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها، وهي غايته، فلا ينال درجتها كاذب البتة، لا في قوله، ولا في عمله، ولا في حاله ".

✉والصديقون لهم منزلة عالية في الجنة، ودرجتهم تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين. يقول ابن القيم: "للصديقين منزلة القرب من الله، إذ درجتهم منه ثاني درجة النبيين "

🗁إن الجنة دار السلام، كل شيء فيها سلام، سلام من كل خوف ومن كل تعب ومن كل كد، سلام من الحسد والبغض، إنه وئام في وئام، وسعادة ليس فوقها سعادة، وقد وعد الله سبحانه عباده المطيعين الصادقين بمرافقة أقرب عباده إليه وأرفعهم درجات عنده، وهم الأنبياء عليهم السلام الذين اصطفاهم سبحانه من خيرة خلقه، حيث قال عزّ وجلّ(وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا) [النساء -69]

ويؤكد النبي ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ» صحيح الترغيب.

ومن هنا كان يُلقّب أبو بكر بالصدّيق لأنه صَدَق في نيته، وفي لسانه، وفي عمله، وسائر تصرفاته، وسكناته، رضي الله عنه وأرضاه.

رابعاً: ومن ثمرات الصدق: الفوز بمنزلة الشهداء، فقد روى مسلم في صحيحه :(أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ »

المراجع:

❶المراجع: الأربعين النووية شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بتصرف.

❷شرح حديث: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك: عبدالعال سعد الشليّه

❸حديث «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك..»: خالد السبت

❹الصدق طمأنينة والكذب ريبة: كتب قسم الخطب بدائرة الائمة والخطباء

❺خطبة عن (من ثمرات الصدق، ومنازل الصادقين).